

فتح القدير

ثم بين سبحانه هؤلاء الذين كتب لهم هذه الرحمة ببيان أوضح مما قبله وأصرح فقال : { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي } وهو محمد E فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل والأمم : إما نسبة إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب : وهم العرب أو نسبة إلى الأم والمعنى أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وقيل : نسبة إلى أم القرى وهي مكة { الذي يجدونه } يعني اليهود والنصارى : أي يجدون نعتهم { مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل } وهما مرجعهم في الدين وهذا الكلام منه سبحانه مع موسى قبل نزول الإنجيل فهو من باب الإخبار بما سيكون ثم وصف هذا النبي الذي يجدونه كذلك بأنه يأمر بالمعروف : أي بكل ما تعرفه القلوب ولا تنكره من الأشياء التي هي من مكارم الأخلاق { وينهاهم عن المنكر } أي ما تنكره القلوب ولا تعرفه وهو ما كان من مساوئ الأخلاق قيل إن قوله : { يأمرهم بالمعروف } إلى قوله : { أولئك هم المفلحون } كلام يتضمن تفصيل أحكام الرحمة التي وعد بها ذكر معناه الزجاج وقيل هو في محل نصب على الحال من النبي وقيل هو مفسر لقوله : { مكتوبا } قوله : { يحل لهم الطيبات } أي المستلذات وقيل : يحل لهم ما حرم عليهم من الأشياء التي حرمت عليهم بسبب ذنوبهم { ويحرم عليهم الخبائث } أي المستخبثات كالحشرات والخنازير { ويضع عنهم إصرهم } الإصر الثقل : أي يضع عنهم التكاليف الشاقة الثقيلة وقد تقدم بيانه في البقرة { والأغلال التي كانت عليهم } أي ويضع عنهم الأغلال التي كانت عليهم الأغلال مستعارة للتكاليف الشاقة التي كانوا قد كلفوها { فالذين آمنوا به } أي بمحمد A { واتبعوه } فيما جاء به من الشرائع { وعزروه } أي عظموه ووقروه قاله الأخفش وقيل : معناه منعه من عدوه وأصل العزر : المنع وقرأ الجديري { وعزروه } بالتخفيف { ونصروه } أي قاموا بنصره على من يعاديه { واتبعوا النور الذي أنزل معه } أي اتبعوا القرآن الذي أنزل عليه مع نبوته وقيل المعنى : واتبعوا القرآن المنزل إليه مع اتباعه بالعمل بسنته مما يأمر به وينهى عنه أو اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه والإشارة بـ { أولئك } إلى المتصفين بهذه الأوصاف { هم المفلحون } الفائزون بالخير والفلاح لا غيرهم من الأمم .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { واختار موسى قومه } الآية قال كان □ أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا □ أن قالوا : اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا من قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكره □ ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة { قال } موسى { رب لو شئت

أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك { يقول : إن هي إلا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عن تشاء وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد { لميقاتنا } قال : لتمام الموعد وفي قوله : { فلما أخذتهم الرجفة } قال : ماتوا ثم أحياهم وأخرج ابن أبي شيبة وأبو الشيخ عن أبي العالية في قوله : { إن هي إلا فتنتك } قال : بليتك وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس { إن هي إلا فتنتك } قال : مشيئتك وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن ابن عباس قال : إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا العمل ولم ينهوا عنه وأخرج سعيد بن منصور عنه في قوله : { واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة } فلم يعطها موسى { قال عذابي أصيب به من أشاء } إلى قوله : { المفلحون } وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله : { واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة } قال : فكتب الرحمة يومئذ لهذه الأمة وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس في قوله : { إننا هدنا إليك } قال : تبنا إليك وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير مثله وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن أبي وجزة السعدي وكان من أعلم الناس بالعربية قال : لا وإنا ما أعلمها في كلام العرب هدنا قيل : فكيف قال هدنا بكسر الهاء يقول : ملنا وأخرج عبد الرزاق وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن وقتادة في قوله : { ورحمتي وسعت كل شيء } قال : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة وأخرج مسلم وغيره عن سلمان عن النبي A قال : [إن] مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة [وأخرج نحوه أحمد وأبو داود والطبراني والحاكم والضياء المقدسي من حديث جندب بن عبد الله العجلي وأخرج أبو الشيخ عن السدي قال : لما نزلت { ورحمتي وسعت كل شيء } قال إبليس : وأنا من الشيء فنسخها [فنزلت { فسأكتبها للذين يتقون } إلى آخر الآية وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج قال : لما نزلت { ورحمتي وسعت كل شيء } قال إبليس : أنا من الشيء قال [تعالى : { فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة } قالت اليهود : فنحن نتقي ونؤتي الزكاة قال [: { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي } فعزلها [عن إبليس وعن اليهود وجعلها لأمة محمد A وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة نحوه وأخرج البزار في مسنده وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال : سألت موسى ربه مسألة فأعطاها محمدا A قوله : { واختار موسى قومه } إلى قوله : { فسأكتبها للذين يتقون } فأعطى محمدا كل شيء سألت موسى ربه في هذه الآية وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عنه في قوله : { فسأكتبها للذين يتقون } قال : كتبها [لهذه الأمة وأخرج ابن جرير عنه في الآية قال : يتقون الشرك وأخرج

ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن النخعي في قوله : { النبي الأمي } قال : كان لا يقرأ ولا يكتب وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في الآية قال : هو نبيكم A كان أميا لا يكتب وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { الذي يجدونه مكتوبا عندهم } قال : يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم وأخرج ابن سعد والبخاري وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له : أخبرني عن صفة رسول الله A قال : أجل وأجمل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تعفو وترفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج ابن سعد والدارمي في مسنده والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عبد الله بن سلام مثله وقد روي نحو هذا مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة في بعض ونقص في بعض عن جماعة وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : { ويحل لهم الطيبات } قال : الحلال { ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم } قال : التثقيل الذي كان في دينهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله : { ويحرم عليهم الخبائث } قال : كلحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله وفي قوله : { ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم } قال : هو ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : { ويضع عنهم إصرهم } قال : ما غلظ على بني إسرائيل من قرص البول من جلودهم إذا أصابهم ونحوه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وعزروه } يعني : عظموه ووقروه